

والذين جاهدوا فيها ليهديهم سبلنا وإن الله لم يخسن... تلك سنة الله التي لا تبدل وناموس الكون الذي لا يتغير " من جاهد في سبيل الخير وجد في طريق الصلاح هدي إلى طرق تحصيله " قيام الليل كغيره من سبل الهدى له أسباب ذاتية -عامة- وأسباب مادية -معينة- من جاهد في طريق تحصيلها هدى من ذلك إلى طريق مستقيم وقام ليله بتوفيق الله ومقتضى وعده.

وتتسم بأساليب الجاهدة هذه إلى قسمين "عموي ومادي" وسبباً في هذه الكلمة بالسبب العموي لأنه هو الأصل الذي يعني عليه والشرط الذي لا بد منه فهي بواعث ذاتية تحفز المسلم حين يستشعرها على قيام الليل وليل الجهد في سبيل ذلك ونذكر من هذه الأسباب:

١-الإخلاص: فيحسب إخلاص المرء لله عز وجل يشط للعبادة ويخف صبغ الطاعة عليه.. ثم إن كل عمل لا إخلاص فيه هباء قال الله تعالى (فمن كان يرحوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ٢-استشعار الإجابة: نعم إنه جوار السموات ينادي هذا المخلوق الضعيف بباديك أنت من فراشك الوثير وبين أهلك وأحيائك فهو " يزل تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له" (رواه البخاري ١١٤٥) ولسلم حتى ينفجر الفجر وفي الموطأ "من يسألني من يستغفرني .

٣- القرب من الله: وروى الترمذي (وحسنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون من من يذكر الله في تلك الساعة فافعل (الحاكم ج ١ ص ٤٥٣) وقال صحيح على شرط مسلم (

٤- استجابة الدعاء: فقد قال صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل فقال أشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له فإن

توياً وصلى قبل صلاته بخاري(١١٤) (

٥- مهابة عن الإثم: وقد قال تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وفي حديث حسن رواه الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " عليكم بقيام الليل فإنه ذاب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومهابة للإثم) الترمذي باب الدعوات وقال الحاكم على شرط مسلم:

٦-اجتناب المعاصي: فالمصيبة تقع عن الطاعة، وأكثر السلف القول بأن المعاصي تحرم العبد وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد: إنني أبيت معافى، وأحب قيام الليل، وأعد ظهوري، فيما يلي أقوم؟ فقال: "إذ نوبك قديتاك".

٧-معرفة فضل قيام الليل ومثله:

(أ) شعار الصالحين: فقد قال الله عنهم (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قبلها من الليل ما يهجعون وبالأحجار هم يستغفرون) وفي الأثر عليكم بقيام الليل فإنه شعار الصالحين قبلكم..

(ب) براءة من النفاق: وأخرج أبو داود وصححه الألباني: "من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقطربين" ابن جرير(١١٤٥).

(ت) طرد لخبث النفس والكسل: وأخرج البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الذي استيقظ فذكر الله وتوذا وصلى: أنه اغلخت عقده وأصبح نشيطاً طيب النفس ولا أصبح خبيث النفس كسلان (البخاري\ برقم ١١٤٢)

(ث) عصمة من الفتن: واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو يقول سبحان الله ماذا انزل من الفتنة ماذا انزل من الخرافين من يوظف صواحب الحجرات يارب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة" (باب ٥ | التهجدا\ البخاري) فاعتبر أن قيام نسائه الليل عصمة من الفتن التي أنزلت تلك الليلة.

(ج) هي أحب الصلاة بعد الفريضة إلى الله عز وجل كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم (مسلم\ الصيام ٢٠٢) وأما جمع الدعاء وذكر عنده رجل قال حتى أصبح فقال ذاك رجل يال للشيطان في أذنه البخاري ١١٤٤) وقال نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم في الليل فكان لا ينام إلا قليلاً (البخاري\ التهجد\ الباب ٢... وقال في الذي رآه في المنام يبلغ رأسه أنه " يعمد إلى القراء فيرقصه وينام على الكثرية" بخاري

برقم ١١٤٣) وأمر به أهله حتى لقد طرق على صهوه وابته ليأمرهم بقيام الليل (البخاري\ ١١٤٢) وقضى عن الأقباء بمن يتروكه فقال لبعض أصحابه "لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل (بخاري التهجد باب ١٩) ونفر من عدم قيامه تفهراً فقال "إن الله يبض كل جفطري جواظ جيفة بالليل حمار بالنهار عام بالدنيا جهل بالآخرة" (البيهقي في السنن).

تلك هي المعرفة الباعنة على قيام الليل واستشعر في ذكر نبذة من الأسباب المادية العينة على هذه العبادة العظيمة:

١) التذكير بالنوم: وهي حكمة نبوية وعون كثير على قيام الليل وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها (البخاري) ولقد صدق البعض حين سمي السهر مؤامرة على صلاة الصحيح.. أجرى قيام الليل

٢) القبول: وسواء أكانت نوما بعد الظهور أو قبله فعم العون هي على قيام الليل وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم " قبلوا فإن الشياطين لا تغفل " أخرجه الطبراني وصححه الألباني ٢٨٤٧ وقال الحسن بن عبد الله: القائلة من عمل أهل الخير جمعة للفؤاد معنية على قيام الليل وقال الحسن في رجل رآه لا يقبل أري ليلك ليل سوء.

٣) برجمة الحسن في رجل رآه لا يقبل أري ليلك ليل سوء.

٤) تجهيز الآلة: ويكون ذلك بوضع وضوء ومهضة إلى جانب السرير الذي ينام فيه وعلى مسافة يأمن معها من أن يهيقه أو يكون في طريقه أو طريق غيره. وقالت عائشة: كما نعد رسول الله ظهوره وسواكه (مسلم ج ٦ ص ٣٧).

٥) القيام دفعة: قرب مستيقظ يهض يقوم فيسرف فيغلبه النعاس وينزاد وسنا ولذلك ينبغي أن يهض المرء من فراشه دفعة، ولا يسرف.

٦) استعمال المنبه: فلقد انتشر المئات الجوال ورخصت ساعات الشبه وتيسر ضبطها على آية ساعة من ليل أو نهار بل وعلى آية ثانية

ودقيقة وهذه وسيلة أعم الله بها علينا فمن شكرها صرفها في هذه الطاعة ولا ينبغي أن يستعين بها أهل الفساد في فسادهم ولا يستعين بها أهل الصلاح في صلاحهم.

٧) الإثارة: فالضوء طارد للنوم فيبقي المبادر إلى إثارته لكن إذا كان المصباح غير كهربي ياتي فلا يستعمل إلا باحتياط وحذر تام.

٨) تجنب الفراش الوثير: فهو مدعاة للاسغراق في النوم ليلته ونعم منه في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي فراشه ليلة فسال عن ذلك فقالوا هو فراشك فثبناه أربع ثياب قلنا هو أوطأ لك قال ردهو لحانته الأولى فقد معني وطاعته صلاتي الليلة. (الترمذي -الشمائل ص ٢٧٠)

٩) الوضوء: وهي تحسب للتعاون على البر والتقوى وخروج من دائرة الخسران التي حددتها سورة العصر لأنها من هائلة "التواصي بالحق والصبر" (١٠) نضح الماء: وهو من الأسباب المشروعة وقد أورد أنه صلى الله عليه وسلم حين قال: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء... رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظ زوجها فإن أتى نضحت في وجهه الماء) أبو داود

١١) الإفلال من الطعام: فإن كثرة الطعام مجلبة للنوم، ولا يخف قيام الليل وهو في صحيح الجامع برقم: ١٥٥٥

١٢) التدرج: ويعني به أمران أولهما التدرج في المقروء فبدأ برقع حزب أو نصفه ولا يزيد عليه إلا بعد فترة من المروطة ثم يبدأ يزيد رويداً رويداً والثاني التدرج في عدد الركعات فبدأ بأربع حتى يتدرب عليها ثم يبدأ يزيد إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وثلاثة عشر أو إحدى عشر

١٣) التدبير: فالتدبير والتدبير ينقل المرء من تحمل عمى القراءة إلى العيش داخلها فيتخف عليه وتسهل ويفهم هذا من قوله تعالى " وأما لكثرة إلا على الخاشعين "

١٤) قضاء التهجد: ولذلك هدفان أولاً أن تقطم النفس وتياس من تركه فإن هو فات في الليل علمت أنه يقضى في النهار بالليل والثاني أن يكتب له أجر التهجد فمن نام عن حزمه وقضاه ما بين طلوع الفجر وصلاة الظهر كتب كأنما صلاه من الليل. كما في (مسلم ج ٦ ص ٢٦)

١٥) مراجعة المقروء فمأراً: فمراجعة ما يربد المرء أن يقوم به في النهار لها أثر كبير في خفة لسانه به وهو أبعد عن التبعث والارتباك وله طريقتان إحداها مراجعة الجزء كاملاً والثانية مراجعة "أثمانية" و"أربعة" وكان بن عمر يفعل ذلك.

